العنف الأسري وآثاره على شخصية الآباء والأبناء

الدكتور/ أحمد محمد الزعبي

كلية المعلمين بالقنفذة - المملكة العربية السعودية

عرفت ***المجتمعات الإنسانية العنف منذ القدم،إذ يدل عليه قتل (قابيل) أخاه (هابيل)،غير أن ظاهرة العنف قد تزايدت في العقدين الأخيرين من القرن العشرين وبداية القرن الحادي والعشرين وأخذت طابعاً جديداً يتجاوز القدرة على ممارسة الظلم والقهر،وأصبحت تميز طابع العلاقات الاجتماعية وأنماط التفاعل القائمة بين الأفراد والجماعات في الأسرة والمجتمع.ومما ساعد على انتشار هذه الظاهرة،الواقع الاقتصادي المتدني لدى كثير من الأسر في المجتمعات النامية والتي من شأنها أن تهيئ المناخ للممارسات العنيفة على المستوى الاجتماعي.***

وقد تأخر علماء الاجتماع وعلماء النفس في دراسة العنف الأسري الذي لاحظه باحثو الخدمة الاجتماعية في القرن التاسع عشر ولكنهم لم يكتبوا عن إيذاء الأطفال وسوء معاملتهم من جانب من يقومون برعايتهم.ففي عام ١٩٤٦م لاحظ أطباء الأطفال كسوراً في عظام الأطفال ناتجة عن الأشخاص القائمين على رعايتهم.وفي عام١٩٦٢ نشر الطبيب كامب (C-H-Kempe)وزملاؤه مقالة بعنوان"متلازمة الطفل المنهك ضرباً" ساعدت على لفت انتباه الأطباء وغيرهم من المهتمين إلى مشكلة إيذاء الطفل.أما العنف الموجه ضد النساء وخاصة الزوجة فلم يحظ بالاهتمام الكافي حتى عام ١٩٧٠م،كون الموضوع يعد مشكلة أسرية وتحاط بكثير من السرية والكتمان.

فالعنف الأسري هو من أشكال العنف الأكثر قبولاً من المجتمع وأكثرها انتشاراً،

وتتعرض له نساء ينتمين إلى كل الطبقات الاجتماعية والأجناس والديانات والفئات العمرية، على أيدي رجال يشاركوهن حياتهن(مكي وعجم،٢٠٠٨).

وإن كان العنف الأسري يبدو أقل حدة من غيره من أشكال العنف السائدة ،إلا أنه أكثر خطورة على الفرد والمجتمع.فهو يهدد أمن الأسرة والسلام الاجتماعي.وتكمن خطورة العنف الأسري في أن نتائجه غير مباشرة،نتيجة ما يحدثه من خلل في نسق القيم،واهتزاز في نمط الشخصية وخاصة عند الأطفال،مما يؤدي في النهاية وعلى المدى البعيد،إلى خلق أشكال مشوهة من العلاقات والسلوك ،وأنماط من الشخصية مهتزة نفسياً وعصبياً.وهذا ما يؤدي إلى إعادة إنتاج العنف سواء داخل الأسرة أم في غيرها من المؤسسات الاجتماعية (عبد الوهاب،٢٠٠٠).

ولذلك يمكن القول إن العنف والعدوان ظاهرتان عالميتان لا يقتصران على دولة من الدول ولا فئة من فئات المجتمع، بل هو سلوك شائع نجده عند جميع الفئات العمرية، مع اختلاف حدته من مكان إلى آخر ، ومن شخص إلى آخر.كما ينتشر العنف في محيط الأسرة التي تعد نواة المجتمع وأولى الجماعات التي يعيش فيها الفرد، والبيئة الرئيسة التي ترتسم من خلالها شخصية الطفل في سوائها واضطرابها، وذلك من خلال أساليب التنشئة الوالدية التي تتم فيها.فقد أكدت الدراسات أن الأسرة تشكل مصدر الأمن والأمان للفرد كونها تمثل مصدر خبرات الرضا عند الفرد،حيث يشبع من خلالها معظم حاجاته،كما تمثل الشكل الأول للاستقرار والاتصال في الحياة.

وتشير دراسة كل من حزين(١٩٨٤)، و راتر(١٩٩١)، أن الأجواء الأسرية المشحونة بالتوتر والصراع تعدُّ بيئةً مناسبة للإصابة بالأمراض النفسية والعقلية والسلوكية، وتترك آثاراً مدمرة على نفسية الفرد(في غانم،٢٠٠٧ :١٤٥).

كما تؤكد دراسة (Widom,1989)، و(محمد،١٩٨٨) أن الإساءة والإهمال اللذان يتعرض لهما الطفل داخل الأسرة يعدان البداية الدافعة إلى الانخراط في العنف والسلوك الإجرامي، وإن افتقاد مشاعر الحب والود والأمان لدى أفراد الأسرة،يؤدي إلى شيوع العديد من السلوكيات التخريبية داخل الأسرة،مما يؤدي إلى اختلال المعايير داخل المجتمع.

ويشير مكي وعجم(٢٠٠٨) إلى أن العنف الذي يصدر عن الجماعات ومنها جماعة الأسرة ،لابد من أن يؤثر على العنف الشخصي بشكل مباشر.فالعنف الذي يصدر عن الذات تجاه الآخر، يؤدي إلى تعزيز نزعة العنف لدى الفرد ، ونقل ممارسته إلى المجال المجتمعي العام أو إلى المستوى العالمي.

فالعنف هو استجابة للإحباط الناتج عن الحرمان.والإحباط الناتج عن الحرمان المادي أشد قسوة من الإحباط الناتج عن الحرمان المعنوي،لأنه يؤدي إلى الإيذاء الجسدي للشخص المعتدى عليه(الزوجة مثلاً) من قبل الشخص المعتدي(الزوج مثلاً) الذي يفتقد الموارد المادية التي تحقق التوقعات المعيارية ومسؤولياته تجاه أفراد أسرته.فإذا كان الزوج غير قادر على مواجهة توقعات الدور بسبب انخفاض مستوى تعليمه ومكانته المهنية ودخله،أو لأنه ذو مكانة اجتماعية منخفضة عن زوجته،فإن الضغوط والإحباطات قد تدفعه إلى استخدام العنف مع أفراد أسرته،خاصة مع وجود معايير تسمح بأن تكون الزوجة هدفاً مشروعاً يصب عليه جام غضبه وينفس فيه عن إحباطاته(حلمي،١٩٩٩).

والعنف مستويات مختلفة، يبدأ بالعنف اللفظي الذي يتمثل في السب والشتم والتوبيخ، ثم العنف البدني الذي يتمثل في الضرب والركل والتعدي على الآخرين، ثم العنف الضمني الذي يتمثل في التفكير في القتل والكيد بالعدوان على الآخرين أو على ممتلكاتهم بالقوة.

تعريف العنف الأسري Family farce

تعدّ الأسرة أولى مجالات التفاعل اليومي، وأكثرها ألفة بالنسبة للفرد .فهي المؤسسة الاجتماعية الوحيدة الذي يتفاعل فيها الفرد بحرية وتلقائية، كما أنها من أكثر المجالات التي يظهر فيها العنف الأسري، حيث ذكر إبراهيم(٢٠٠٨: ٢٨٥) أن الجرائم المرتكبة في الأسرة تزيد على(٥٠٪) من المجموع الكلي لجرائم العنف.

ويعرَّف العنف في "لسان العرب" بأنه"الخوف بالأمر، وقلة الرفق به، وهو ضد الرفق وأعنف الشيء أخذه، والتعنيف هو التقريع واللوم(ابن منظور، ١٩٥٧: ٢٥٧).

ويعرّف مكي وعجم(٢٠٠٨: ٨)العنف بأنه"كل أشكال السلوك التي تكسر التفاعل التلقائي في موقف اجتماعي، يسلك فيه أحد الفاعلين بشكل يثير استجابة غاضبة أو عنيفة من قبل الفاعل الآخر، ويتحول فيه بقية الفاعلين إلى ضحايا لموقف العنف".

أما جيلز وشتراوس(١٩٧٩) فيعرفان العنف بأنه"سلوك يتم تنفيذه مع توفر القصد بإحداث ضرر جسدي لشخص آخر"(حلمي،١٩٩٩: ٨٨).

أما العنف الأسري فيعرفه إبراهيم(٢٠٠٨: ٣٠٠) بأنه"كل فعل يصدر عن أحد أو بعض أو كل أعضاء النسق الأسري نحو بعضهم بعضاً أو نحو الآخرين بهدف إلحاق الأذى والضرر المادي أو المالي أو المعنوي بطريقة مباشرة أو غير مباشرة وبشكل واضح أو مستتر مع توافر عنصر القصد وممارسة القوة لإلحاق الأذى بالمستهدفين من العنف أو بأي من رموزهم ومتعلقاتهم".

ويعرّف مكي وعجم(٢٠٠٨ :٩٠) العنف الأسري بأنه"كل عنف يقع في إطار العائلة ومن قبل أحد أفراد العائلة(كالأب،الأخ،الأكبر..) بما له من سلطة أو ولاية أو علاقة بالمعنَّف".

ويعرِّف الكاتب العنف الأسري بأنه " كل سلوك يصدر عن أحد أفراد الأسرة بشكل مباشر أو غير مباشر، بقصد إلحاق الأذى الجسدي أو النفسي بأحد أفراد الأسرة ذكراً كان أم أنثى، بصورة غير مشروعة أو غير مطابقة للقانون".

وبناء على ذلك يمتد العنف الأسري في بلدان العالم الثالث بشكليه المادي والمعنوي، ليشمل بالإضافة إلى الصراع بين الرجل والمرأة من خلال العلاقة الزوجية الأطفال والأخوة والأخوات والأبناء والآباء. فكل فعل يمارس من قبل الرجال في الأسرة سواء أكان شتماً أم ضرباً أم تحرشاً جنسياً،أم استهزاءً بالمرأة أم اغتصاباً لها وإجبارها على فعل مالا تريد أم حرمانها من حقوقها يعدّ عنفاً ضدها. ولذلك فإن أكثر ما يهدد النساء هم الرجال الذين تربطهم بهنّ صلة قرابة، وليس الغرباء، وغالباً ما يكونون من أفراد الأسرة أو الأزواج.

مظاهر العنف الاسري:

يظهر العنف الأسري في مظاهر عديدة أهمها:

١- العنف الموجه ضد النساء:

ترى المجتمعات العربية أن ما يحصل داخل الأسرة يجب أن يبقى سراً، فهو محاولة للتغطية وإنكار لوجود العنف.فكم من الزوجات تعرضن للإهانة والضرب والشتم والاغتصاب من قبل أزواجهن، ولم يتحدثن عنه، وعشن حياتهن صابرات ولكن ذليلات لا حول لهن ولا قوة.وكم من الفتيات تعرّضن للضرب والإهانة بحجة التربية،وتعرضن للاغتصاب والتحرش الجنسي واختبأن وراء الصمت والخجل خوفاً من أن يصبحن هنّ الجانيات (مكي وعجم،٢٠٠٨).

ولذلك يتمثل العنف ضد النساء بممارسة سلوك القسوة ،والشتم، والتهديد ، والاستهزاء،والازدراء،والتدخل في شؤونهن الخاصة،وحرمانهن من الحرية،وإجبارهن على فعل ما لا يرغبن فيه،وحرمانهن من حقوقهن،وإجبارهن على تقديم الخدمات إلى جميع أفراد العائلة وضيوفهم،واغتصابهن جنسياً.

أما الدراسات الخاصة بالعنف ضد النساء وخاصة الزوجة، فقد بدأت بدراسة النساء المرتكبات للجرائم والمودعات في السجون،وكذلك الزوجات الباحثات عن مأوى نتيجة ضرب الأزواج، وأكدت تلك الدراسات أن مرتكبات الجرائم من النساء كن هدفاً

للإساءة البدنية المبرحة من قبل أزواجهن أو آبائهن.كما اهتمت بعض الدراسات بفحص تقارير الشرطة عن حوادث العنف داخل الأسرة واتضح منها أن حوالي (٥١٪) من حالات العنف الأسري وخاصة الإساءة البدنية تقع على الزوجات.كما اهتمت دراسات أخرى بالإساءة البدنية التي تقع على المرأة بصفة عامة سواء داخل الأسرة أم خارجها في المجتمعات المحلية- وأشارت إلى أن المرأة أكثر فئات المجتمع تعرضاً للإساءة وخاصة داخل الأسرة.

فقد بين تقرير منظمة الصحة العالمية أنه من خلال الاطلاع على (٤٨) دراسة مسحية حول العالم أن (١٠-٦٩٪) من النساء قد تعرضن إلى عنف جسدي من قبل الشريك، وتعد المرأة هي الأكثر تعرضاً للعنف الأسري وخاصة الزوجة،رغم أن الموروثات الدينية والاجتماعية والثقافية، أمرت باحترام المرأة وتقديرها كأم، وزوجة، وأخت،وابنة.ولذلك يعد العنف ضد المرأة عامة وضد الزوجة بشكل خاص نتيجة لتراكمات ثقافية وعرقية تتعلق بالقواعد الذكورية،على الرغم من التغيرات الحاصلة في أنماط السلوك الاجتماعي(أبو حجلة،٢٠٠٤).

كما ركزت البحوث الاجتماعية والنفسية على العنف الموجه ضد الزوجة سواء أكان عنفاً جسدياً ضاراً من قبل الزوج أم عنفاً يتمثل بالإيذاء النفسي والاغتصاب الجنسي(الزوجي)، وهذا يعني أن النساء هن الضحايا المفضلات للعنف الأسري.وتشير الدراسات أن الزوج الذي يمارس العنف تجاه الزوجة، يشارك غالباً في أفعال أخرى إجرامية منها الجنوح وتعاطي المخدرات- (Simons, etal-, 1998)

فضلاً عن ذلك فإن الاعتداء الموجه ضد أحد الزوجين سيتبعه اعتداء متبادل يتمثل في التهديد اللفظي أو البكاء أو العويل الهستيري(من قبل الزوجة).

ويرى راتنر(Ratner,1998) أن العنف ضد الزوجة يحدث في المواقف التالية:

- غيرة الزوج من العلاقات الاجتماعية للزوجة برجل آخر.

ب- العلاقات المحدودة للزوجة بأفراد الأسرة والأصدقاء.

ج- الزوجة التي تتحكم في دخل الأسرة.

د- الزوجة التي تفرض نفسها على المكان الذي توجد فيه.

٢- العنف الموجه ضد الأطفال:

إن أول أشكال الإساءة في الأسرة هي الإساءة إلى الطفل،فقد لاقت اهتماماً كبيراً من قبل المختصين من أطباء، وأطباء نفسيين ،وعلماء الاجتماع، وعلماء النفس،فقد سموا أنواع الإصابات غير الناتجة عن حوادث بالإصابات البدنية ثم الإصابات النفسية.كما

تبين من خلال الدراسات الاجتماعية أن معظم الأطفال المودعين في مؤسسات الرعاية الاجتماعية قد عانوا في طفولتهم أنواعاً كثيرة من الإساءة وخاصة الإساءة البدنية.كما تبين أيضاً أن أمهاتهم وآبائهم قد كانوا هدفاً للإساءة في طفولتهم، وأن الوالدين يلجئون إلى ممارسة الإساءة على أطفالهم عندما يفشل الأطفال في تحقيق توقعات الآباء(إبراهيم،٢٠٠٨) .

بالإضافة إلى ذلك يتضمن العنف ضد الأطفال سوء التغذية،والفشل في النمو والإيذاء الجنسي،والإهمال في تعليم الأطفال،والإهمال في علاجهم،والإيذاء العقلي،وعيشهم في ظل ظروف سيئة.

أشكال العنف الأسري:

توجد أشكال عديدة للعنف الأسري يمكن إدراجها في ثلاثة أقسام هما:

١- العنف اللفظي: يتجلى العنف اللفظي على شكل تهديد، وشتم، وتهكم واستهزاء بالغير، وتحريض، وإهانات لفظية ومعنوية،وتهديد لفظي بالانتقام.

٢- العنف المعنوي (النفسي): ويكون على شكل نظرات استهزاء، وسخرية، وازدراء، وتعبيرات وجهية متجهمة، وجحوظ في العينين، وتقطيب في الجبين، وضرب الباب بقوة،وتكسير بعض الحاجات المنزلية...الخ.

٣- العنف المادي(الجسدي): ويكون على شكل اعتداء مباشر على الزوجة أو الأبناء بالضرب،والركل بالقدم،والطرد من المنزل،والاغتصاب الجنسي،والحرق،والطعن بالسكين، وصولاً إلى القتل بأشكاله المختلفة.

٤- العنف الجنسي:

يعدُّ العنف الجنسي من أخطر أنواع العنف الذي تتعرض له المرأة داخل الأسرة، إلا إنه يبقى طي الكتمان.فالتحرش الجنسي، والخطف، ،وهتك العرض، ومجامعة المرأة من قبل رجال الأسرة بأشكال شاذة(زوجة، ابنة، أخت، أم..)، من الأمور التي يتكرر حدوثها داخل الأسرة.

العوامل المؤدية إلى العنف الأسري:

من العوامل المؤدية إلى العنف الأسري ،عوامل اجتماعية وثقافية واقتصادية ونفسية وعقلية وتشريعية .ويمكن إيضاح ذلك كما يلي:

■ **العوامل البيولوجية:**

تشير النظرية البيولوجية إلى أن العنف يرجع إلى عوامل بيولوجية في تكوين الإنسان،حيث يؤكد أصحاب هذه النظرية وجود بعض الهرمونات التي لها تأثير على الدافعية نحو العنف والتي ترتبط بزيادة هرمون الذكورة

(الأندر وجين)،وهذا الهرمون هو السبب المباشر في حدوث العنف بدرجات كبيرة عند الرجال، ويزداد إفرازه بنسبة عالية في النهار بينما ينخفض إفرازه في المساء(مليكة،١٩٨٠ :٩٠ في منيب وسليمان،٢٠٠٧).

كما تؤكد الدراسات التي أجريت على التوائم أنه إذا كان أحد التوائم مجرماً كان الآخر مجرماً بنسبة ٣/٤ ،بينما التوائم غير المتماثلة فتوجد بنسبة١/٤.

كما وجد السلوك العنيف أيضاً عند الأفراد الذين لديهم شذوذ كروموسومي ،بحيث يصبح عدد الكر وموسومات (٤٧) بدلاً من(٤٦)كروموسوماً ويكون شكل الكر وموسوم السابع والأربعين على شكل(xyy) أو (xxy)،كما وجد لدى ٦٥٪ منهم شذوذ في تخطيط الدماغ ،ويصاحب العنف لديهم اضطرابات عاطفية ونقص في الذكاء(إبراهيم،٢٠٠٨).

■ **العوامل الاجتماعية:**

إن التباين العمري الكبير بين الزوجين، والفروق الطبقية والتعليمية الواضحة بينهما،وأصدقاء السوء،وتدخل الأهل بطريقة خاطئة بين الزوجين، والزواج من زوجة أخرى دون موافقة الأهل،وعدم طاعة الزوج والخروج دون إذن منه،ورفض الزوجة العودة إلى بيت الزوجية،ورفض الرجل من قبل أهل الفتاة،والشك والريبة،والاعتقاد بالخرافات، يؤدي إلى زيادة العنف الأسري.

كما أن المجتمع الذي ترتفع فيه الضغوط الاجتماعية والاقتصادية(كالبطالة،وانخفاض الدخل،والمرض)، يلجأ أفراده إلى استخدام العنف الأسري وخاصة الموجه نحو المرأة.

من جانب آخر فإن العنف الأسري يرتبط بالعوامل الاجتماعية والأيديولوجية التي تضع الرجال على قمة السلطة في الأسرة،مما يجعلهم يلجئون إلى استخدام العنف ضد المرأة.

ومن الأسباب المؤدية للعنف الأسري،أساليب التنشئة الأسرية غير السوية مثل: الإهمال، والتساهل، واللامبالاة ،والتدليل الزائد ، والقسوة ، والضرب، والتشدد، والحرمان من الحب والمودة داخل الأسرة،والمغالاة في الإنفاق المادي على الأبناء.

كما وجد أيضاً أن برامج التلفزيون وخاصة أفلام الرسوم المتحركة التي يسودها العنف، لها تأثير واضح على السلوك العدواني لدى الأطفال، حيث تدفعهم إلى تقليد حركات وسلوك العنف. كما أن ترك المجال مفتوحاً لرؤية الأبناء وسائل الإعلام المختلفة(تلفزيون،انترنت..) وما تبثه من مواد عنيفة مدمرة للقيم الدينية والأخلاقية، تأثير خطير على سلوك الأبناء داخل الأسرة وخارجها.

■ العوامل النفسية:

إن الشعور بالحرمان النفسي أو إهمال أحد الزوجين للآخر،أو عدم الجدية في توجيه الأبناء وتربيتهم ،والمبالغة في تدليل الأبناء أو حرمانهم أو إهمالهم،أو زيادة مستوى الطموح الفردي دون مراعاة متطلبات الأسرة،من شأنها أن تؤدي إلى زيادة انتشار حالات العنف الأسري.

كما أرجع(فرويد) العنف إلى الشعور بالذنب ليس بعد ممارسة العنف وإنما قبل ذلك،أي إلى دوافع ممارسة العنف.كما تعزو (الفرويدية الحديثة) ممارسة العنف إلى الصراعات الداخلية والمشكلات الانفعالية بين الأزواج، وبين الآباء والأبناء.

كما أن فقدان الأبناء لمشاعر الحب والعطف والحنان من قبل والديهم وخاصة في السنوات الأولى من حياتهم، يجعلهم يشعرون بالعدوان والكراهية نحو والديهم ونحو الآخرين.كما يشعرون بالاغتراب وعدم الأمن والأمان داخل الأسرة، ويفقدون الثقة بأنفسهم وبالآخرين من حولهم.

كما تزداد حالات العنف عند الأبناء كأسلوب للتعبير عن الاستقلالية وجذب الانتباه وكَسْب احترام رفاقهم المناظرين لهم في العمر ، وكذلك نتيجة الشعور بالنقص في القدرات، وكرد فعل لفرص ضائعة عليهم في المجتمع(منيب وسليمان،٢٠٠٧).

من جهة أخرى تزداد حالات العنف والعدوان كلما زاد الإحباط وتكرر حدوثه.فإذا منع الفرد من تحقيق أهدافه الضرورية شعر بالإحباط وكان العنف والعدوان المباشر أو غير المباشر هو رد الفعل على مصدر الإحباط،ولذلك تختلف شدة العنف باختلاف شدة الإحباط الذي يعاني منه الفرد .ويرى عكاشة(١٩٩٢) أن الإحباط إن لم يؤدِّ في معظم الظروف إلى العنف،فإن كل عنف يسبقه موقف محبط.

ويذكر مكلفين وغروس(٢٠٠٢) أن الإحباط يؤدي إلى استجابة عدوانية ،ولكن هذه الاستجابة قد لا تتجه نحو مصدر الإحباط بشكل دائم، بل قد تتجه إلى هدف سهل المنال مثل كبش الفداء(في الأحمد،٢٠٠٤ :١٤٧).

كما يتعلم الفرد سلوك العنف عن طريق معايشته لهذا السلوك،فالطفل الذي يشهد

والديه يمارسون هذا السلوك تجاه كل منهم للآخر،أو أن الطفل ذاته كان هدفاً للإساءة البدنية،فإن هذا الطفل يلجأ إلى العنف عادة.

ومن أبرز السمات التي تميز الشخص الذي يمارس العنف ضد أحد أفراد الأسرة،أنه شخص حاقد ولا يحترم حرية الآخرين ،كما أنه قد حرم في طفولته من حريته الشخصية ومن حرية اتخاذ القرار،مما يجعله يقوم بسلب حرية الآخرين كما سلبت منه حريته،أو أنه اعتاد الحصول على ما يريد وامتلاك كل شيء...ولذلك يميل إلى حيازة حرية الآخرين والسيطرة التامة عليهم.

أما سمات الشخصية المضطهدة،فتكون عادة شخصية ضعيفة اعتادت أن يملي عليها الناس أفعالهم وأقوالهم ،خاصة إذا كان الزوج هو الشخص الضاغط(المعنِّف) سواء كان ذلك مادياً أم معنوياً.

فضلاً عن ذلك فإن زيادة مستوى ضغوط الحياة التي يعاني منها الأطفال والمراهقون داخل الأسرة(كأساليب التربية القاسية،وتوقعات الوالدين غير الواقعية)، يجعلهم يلجئون إلى العنف وخاصة العنف البدني.

■ العوامل الاقتصادية:

تزداد حالات العنف الأسري في حالات تدهور مستويات المعيشة للمواطنين، وضعف قدرة الرجل على الإنفاق، واضطرار الزوج للعمل خارج وطنه،أو خروج الزوجين معاً للعمل فترات طويلة وترك الأبناء دون رعاية كافية ومناسبة.كما تساهم البطالة وقلة فرص العمل،والعجز عن مواجهة تكاليف المعيشة وتكاليف الزواج بالنسبة للشباب في زيادة حوادث العنف الأسري.

■ العوامل الثقافية:

ينطوي دور الفتاة في ظل الثقافة السائدة في مجتمعات العالم الثالث، على أنها زوجة وربة منزل، وإن سمحت لها هذه الثقافة بالتعلم والعمل فمن أجل تحسين فرصها في الزواج.ولذلك تحرص الأسرة على إعداد الفتاة إلى أداء دورها في المنزل،وتنمي أمها منذ الصغر استعدادها إلى أداء دور الزوجة المطيعة والخاضعة للزوج دون أي اعتراض على سلوكه أو آرائه حتى ولو كانت خاطئة،مما يشعرها بالقهر وتدني مفهوم الذات،والشعور بالنقص. ويمكن ملاحظة ذلك في الكثير من الأمثال الشعبية مثل:شاوروهن وخالفوهن،أم الغلام تستحق الإكرام،زواج البنت سترة،همّ البنات إلى الممات..الخ.

كما أنه لازالت بعض الموروثات الاجتماعية وخاصة في الأرياف، تنتقص من قيمة

المرأة،حيث تُعامل المرأة على أنها ضعيفة وعليها الخضوع للرجل،كما أن مشاورة المرأة انتقاص لرجولة الزوج ،وأن الرجل هو القادر على إخضاع المرأة والسيطرة عليها في كل شؤون حياتها ،ولذلك فإن الشتم والإهانة وحرمانها من الحقوق أمور لا تجوز مناقشتها أو الاعتراض عليها.

■ **العوامل التشريعية :**

يزداد العنف الأسري في حالة سن تشريعات غير عادلة، وبطء إجراء التقاضي ورد الحقوق لأصحابها ،كما أن غياب الوازع الديني والفهم الخاطئ لقواعد الدين ،والأسلوب الانتقائي التجزيئي الذي يستبعد ما من شأنه تحقيق المساواة بين الرجل والمرأة ويرفع من شأنها ويدفع بها إلى التحرر والاستقلال ،وعدم مراعاة الوالدين شرع الله في توزيع التركات والميراث بين الورَثة،يؤدي إلى زيادة العنف الأسري،من جانب آخر فإن الاختلاط بين الأسر دون ضوابط شرعية،من شأنه أن يؤدي إلى الانحراف الأخلاقي لبعض الزوجات والأبناء ، مما يسهل عمليات العنف الأسري.

آثار العنف الأسري على شخصية الآباء والأبناء:

١- الآثار الصحية:

يترتب على العنف الأسري آثاراً صحية تنعكس على صحة المرأة وجسدها،وقد يسبب لها الموت أحياناً، و حدوث بعض التشوهات والعاهات الدائمة،والحروق المشوهة،وغير ذلك.ويذكر خبراء الرعاية الصحية أن العنف الأسري قد يكون سبباً لكثير من الأمراض العضوية مثل ارتفاع الضغط الشرياني ،والسكري، والأكزيما..وغيرها من الأمراض(الداهري،٢٠٠٨).

٢- الآثار النفسية:

يهدد العنف الأسري الأمن النفسي والاجتماعي للأسرة،فالخبرات المؤلمة التي تتعرض لها الأسرة ،تؤدي إلى فتور العلاقة الدافئة بين الزوجين،وتدهور في الصحة النفسية للأم بشكل خاص، والأب والأبناء بشكل عام ،واحتمال تعرضهم للاضطرابات النفسية(قلق،اكتئاب، وساوس متسلطة،..)، كما ينعكس أيضاً على تهديد الأمن النفسي للأبناء ويقوِّض تقدير الذات عند الأسرة.كما أن مشاعر العجز والإحباط التي يشعر بها الأبناء،تؤدي إلى ضعف قدرتهم على التوافق النفسي، والاجتماعي.

كما أظهرت الدراسات(Fortin,2002:45) أن آثار العنف الأسري الموجه ضد الأطفال الصغار تظهر بشكل مباشر نتيجة تواجدهم مع ذويهم،حيث يعانون من بوادر الاضطراب النفسي كالقلق، والحزن، والشعور بالتعاسة، والعدوانية، والحركة الزائدة،

والكذب، والعناد، وعدم الطاعة،والشعور بالذنب نتيجة عدم تمكنهم من القيام بأي عمل تدخلي،ثم يتحول إلى خوف دائم على الأم من أن تُقتل ويصبحون بدون أمهات. وعند بلوغ المراهقة تظهر لدى الأبناء سلوكيات .عدوانية، والميل إلى تجريح الآخر، والميل إلى الانتحار.كما يميل الأبناء الذكور إلى تقليد والدهم والتماهي معه عبر سلوك عنيف تجاه النساء.أما الفتاة فينمو لديها استهتار ومواقف سلبية تجاه الزواج، كما تصبح مؤهلة في تكوينها النفسي أن تعيش حياتها الحميمة تبعاً لعلاقات عنيفة(في مكي وعجم،٢٠٠٨).

كما تذكر حلمي(١٩٩٩) في دراستها أن الزوجات اللاتي تعرضن للعنف الجسدي يشتكين من الصداع والحساسية وآلام الظهر وعسر الهضم.كما أنهن أكثر عرضة للأمراض النفسية والعقلية مثل القلق ، والاكتئاب ،والرغبة في الانتحار، وعدم تحقيق الذات .

٣- الآثار الاجتماعية:

كما يؤدي العنف الأسري إلى تفكك كيان الأسرة وانهيارها،وتؤدي إلى سيادة الكراهية والعدوان،وانعدام الثقة والاحترام المتبادل،إضافة إلى إمكانية حدوث الانحراف عند أفرادها،كما تنعكس بأفعال عنيفة ضد الأبناء (الأحمد،٢٠٠١).

كما أوضحت الدراسات التتبعية أن الأطفال المعرضين للعنف الأسري كانت لديهم انحرافات سلوكية ثم أصبحوا أحداثاً وانخرطوا في مجال الجريمة.وقد اتضح أن العلاقات داخل الأسرة والتي تقوم على العقاب البدني وعلى العنف كانت وراء ذلك(حلمي،١٩٩٩).

ويذكر مكي وعجم(٢٠٠٨) أن الممارسات العنيفة في المنزل تؤدي إلى أن يصبح الابن عدوانياً والابنة منعزلة،وقد تصبح إمّا عنيفة أو مهملة لأطفالها عندما تكبر.

كما أوضحت الدراسة التي أجرتها حلمي(١٩٩٩) :

- أن العقاب البدني للأطفال يزيد من احتمال السلوك العدواني واللاجتماعي لديهم.
- إن الأطفال الذين يتعرضون للعقاب البدني يتعلمون أن العنف يغير من السلوك.

كما يشير ألبرت بندورا (بم١٩٧٧ Bandura) في نظريته التعلم الاجتماعي، أن السلوك العدواني متعلم من خلال التقليد والتعزيز والمشاهدة. ولذلك فإن تعرض الأطفال للعنف بأشكاله المختلفة، يجعلهم يقومون بسلوكيات عدوانية بشكل مرتفع مع ألعابهم في حجرة الملاحظة، كالهجوم على الدمية بالمقارنة مع الأطفال الذين لم يتعرضوا للعنف(Otto,1985).

فالأطفال يكتسبون نماذج السلوكيات التي تتسم بالعنف من خلال ملاحظة سلوك العنف للكبار، أي أن الأطفال يتعلمون أعمال العنف عن طريق تقليد سلوك الكبار (Berkowit, ١٩٩٣).

كما تؤثر الجماعة أيضاً تأثيراً كبيراً في اكتساب سلوك العنف عن طريق تقديم النماذج العنيفة للأطفال فيقلدونها،أو عن طريق تعزيز هذا السلوك بمجرد حدوثه(منيب وسليمان،٢٠٠٧).

فمشاهدة الأطفال للعنف الأسري سواء نحو الزوجة أو العقاب البدني للأطفال، يعلمهم أن ضرب الآخرين(الذين نحبهم والذين تربطنا بهم علاقات حميمة)،أمر مشروع وفعال،فالأولاد الذين يشاهدون الأب وهو يعنِّف الأم قد يعنِّفونها هم بدورهم،كما يعنِّفون زوجاتهم وبناتهم في المستقبل وقد يؤدي إلى ممارستهم العنف مع آبائهم كبار السن أيضاً.

من جانب آخر قد يؤدي العنف الأسري إلى حدوث الطلاق بين الزوجين وحرمان الأطفال من أحد والديهم أو كليهما،وما ينجم عن ذلك من فقدانهم الحب والحنان والرعاية الو الدية.وهذا الحرمان من أحد الوالدين أوكليهما ينعكس بآثار ضارة على شخصية الأبناء ،فيعيق نموهم العقلي والنفسي والاجتماعي،ويضعف من قدرتهم على التواصل والتفاعل مع الآخرين،ويشعرهم بالإحباط والعجز ويضعف من دافعيتهم للتعلم والتحصيل.

٤- الآثار الاقتصادية:

وللعنف الأسري آثار اقتصادية سيئة عديدة منها:

■ ضعف قدرة المرأة على تطوير ذاتها وقدراتها ومهنتها وتعليمها،وهدر طاقاتها الإنتاجية من خلال السماح لها فقط بالعمل في أعمال هامشية،أو عدم السماح لها بمواصلة تعليمها، وتزويجها في سن مبكرة،مما ينعكس سلباً على برامج التنمية الاقتصادية والاجتماعية.

■ إعاقة عجلة النمو الاقتصادي للمجتمع،لأن العنف ضد المرأة وإعاقتها من ممارسة حقها في العمل أو التعليم يؤدي إلى دفع عدد من العمال غير المهرة من ذوي التعليم والتأهيل المتدني إلى سوق العمل.كما يتيح الفرصة لعمالة الأطفال،مما يؤثر على صحتهم الجسدية والعقلية والنفسية والاجتماعية.

■ تدني نسبة مشاركة المرأة في العمل والحياة الاقتصادية والإنتاجية،ويحدُّ من إمكانية النساء من الاستفادة من الفرص المتاحة لهن،ويفوِّت عليهن فرص الاستفادة من

الحصول على وظائف مهمة من شأنها الإسهام في عملية التنمية،مما ينعكس سلباً على الأسرة وعلى دخلها المادي،ويلحق الضرر بالمجتمع من قلة مشاركة المرأة في التنمية والتطور(الداهري،٢٠٠٨).

دور الإرشاد الزواجي والأسري في الوقاية من العنف الأسري:

يمكن للإرشاد الزواجي والأسري من أداء دور فاعل في الوقاية من العنف الأسري والحد منه قدر الإمكان وذلك من خلال:

١- وضع برامج تربوية إرشادية خاصة من شأنها تأهيل الفتاة لحياة أسرية صحية بعد الزواج،وتعزيز ثقتها بنفسها واحترامها لذاتها.

٢- تقديم برامج إرشادية ترمي إلى تعليم الأبناء صغاراً وكباراً، كيفية حل مشاكلهم بالطرق السلمية بعيداً عن العنف بكل أشكاله،وتعليمهم كيفية الابتعاد عن الأفكار التقليدية التي تمجد الذكورة و تحرض على ممارسة العنف ضد المرأة.

٣- وضع برامج إرشادية تهدف إلى تعزيز ثقافة الحوار واحترام الآخر داخل الأسرة وخاصة للشباب الذين هم في سن الزواج.

٤- تضمين المناهج الدراسية مفاهيم تعزز من ثقافة تبادل الأدوار والحوار داخل الأسرة وكيفية حل النزاعات بين البنين والبنات بالطرق السلمية عن طريق الأنشطة الصيفية.

٥- تفعيل دور وسائل الإعلام المختلفة بنشر الوعي عن العنف الأسري وأخطاره من خلال استضافة المختصين في الإرشاد النفسي والإرشاد الزواجي.

٦- إصدار نصوص قانونية تجرم العنف الأسري،وتعاقب عليه بعقوبات صارمة.

٧- إجراء دراسات ميدانية حول العنف الأسري لتحديد أسبابه وأنواعه،وذلك تمهيداً لوضع الإجراءات العلاجية المناسبة.

كيفية مواجهة العنف الأسري:

تعد الأسرة المسئولة عن سلوكيات أبنائها غير السوية،وعن قيمهم الأخلاقية والدينية،وما يصدر عنهم من سلوكيات عنيفة نحو الأفراد والجماعات والمؤسسات والمنشآت في المجتمع. ومن أجل أن تضطلع الأسرة ومؤسسات التعليم بمسؤولياتها،والحد من ظاهرة العنف الأسري لابد من عمل ما يلي:

■ توعية الآباء والأبناء على حد سواء بمخاطر العنف داخل الأسرة وخارجها،وتوجيههم إلى اكتساب مهارات التفاعل الأسري السليم وتحميل المسؤولية لكل فرد فيها.

■ التأكيد على دور الأسرة في تربية الأبناء تربية سليمة، وذلك من خلال غرس القيم الدينية والأخلاقية في ضوء المتغيرات الثقافية وتحديات العولمة في الوقت الحاضر،إذ يتوجب على الوالدين أن يعملا على غرس قيم الخير والصلاح في نفوس أبنائهم.

■ تطوير احترام الذات لدى المرأة وتعزيز ثقتها بنفسها،وتشجيعها على التعبير عن احتياجاتها ورغباتها وكل ما يثير غضبها.. وحقها في السعادة والفرح والاستقلالية.

■ ضرورة تحمل الأسرة لمسؤولياتها،من خلال مراقبتها لسلوكيات أبنائها ومتابعتهم وتزويدهم بالتوجيهات والإرشادات التربوية السليمة،وإرساء قواعد التربية ضد العنف عموماً والعنف الأسري بشكل خاص لدى الفئات الاجتماعية كلها.

■ أن تعمل الأسرة على إشباع حاجات أبنائها النفسية والاجتماعية،كالتقبل، والشعور بالأمن والأمان داخل الأسرة،وتقدير الذات ،مما يقلل من سلوكيات العنف لديهم وكراهيتهم لأنفسهم وللآخرين.

■ تدريب الأسرة على كيفية التواصل الإيجابي بين أفرادها وخاصة بين الزوجين وبين الآباء والأبناء، إذ إن ذلك هو خير سبيل لتجنب العنف الأسري. فمن يتعلم العنف ويتدرب على ممارسته، فإنه يتعلم كيفية التواصل ومد الجسور بين أعضاء الأسرة.

■ أن تعمل الأسرة على فهم دوافع السلوك العدواني عند الطفل، والوقوف منه موقف المتفهم الهادئ، إذ يتوجب عليها قبل أن تمنع الطفل من عمل شيء ما، أن تهيئ له عملاً إيجابياً بدلاً من الأوامر والنواهي السلبية، ومثال ذلك أن نقول له : "من المفضل أن تفعل هذا... تعال وافعل كذا...جميل أن يكون لديك هذا الشيء.." وذلك بدلاً من أن نقول له: "لا تفعل هذا .. إياك أن تفعل ما فعلت.. لا تقترب من هذا المكان ..".

ومن الضروري أيضاً تعزيز السلوك المرغوب فيه عند الطفل وإظهار الرضا في كل مرة يقوم الطفل في التعامل مع الآخرين (في اللعب مثلاً) دون أن يظهر عنده العدوان أو المشاجرة معهم.

■ أن يقوم الآباء بنهي أبنائهم عن السلوك العدواني، وتشجيعهم على السلوك الهادئ السليم، ومعاملة الآخرين بالحسنى والعطف دون أن نعودهم على الخنوع أو الفجور لقوله تعالى: " وقولوا للناس حسنى".

■ تربية الأطفال تربية متوازنة تقوم على الأخذ والعطاء، وتنمية القيم الإيجابية لديهم ليدركوا معناها فيما بعد. ولهذا يتوجب على الآباء والمربين عدم اللجوء إلى العدوان والغضب الشديد عندما يخطئ الطفل، والتحكم في الذات قدر الإمكان، فالطفل يقلد والديه والكبار من حوله في سلوكهم العدواني. فقد أظهرت الدراسات أن الآباء ذوي الاتجاهات العدوانية لا يتقبلون الأبناء ولا يمنحونهم العطف والقبول، ويميلون إلى استخدام العقاب البدني في ضبط سلوك أبنائهم (الزعبي، ٢٠٠٥).

ويرى فيرجيلد (Fairchild, 1977) وسيرز ((Sears, 1953أن استمرار المزج بين ضعف العطف الأبوي وبين العقاب البدني القاسي لفترة طويلة من الزمن يؤدي إلى العدوان، والتمرد، وعدم تحمل المسؤولية لدى الطفل (في شيفر وميلمان، ١٩٨٩).

كما تبين أيضاً وجود علاقة بين سلوك الطفل العدواني وبين عقاب الآباء على هذا السلوك، فقد ظهر أن الأطفال العدوانيين في المدارس ينالون عقاباً كثيراً من الأب في المنزل. فالعقاب لا يمنع الطفل من السلوك العدواني بل يقوده إلى مزيد من العدوان نتيجة شعوره بالإحباط. ولهذا من الضروري الابتعاد عن عقاب الطفل جسدياً، لأن هذا النوع من العقاب يؤدي إلى تبلد المشاعر الانفعالية لديه، كما أنه قد يألف مثل هذه العقوبة، فلا تعود تجدي معه كثيراً، مما يجعل هذه العقوبة عديمة المفعول .

■ من الضروري إبعاد الطفل عن المواقف والخبرات التي توقعه في الإحباط، وتوفير فرص النجاح له ما أمكن، فالنجاح في القيام بالأعمال الموكلة إلى الطفل تعزز من ثقته بنفسه، وتبعد عنه مشاعر النقص والإحباط. وفي حالة ظهور العدوان عند الطفل يجب عدم كبته (لأن ذلك يؤدي إلى نتائج نفسية وسلوكية غير مرغوب فيها)، وتوجيهه إلى مسالك مقبولة اجتماعياً.

■ العمل على توفير الأمن والاطمئنان النفسي للطفل في الأسرة والمدرسة. فالطفل الذي يعيش خبرات سارة وسعيدة، يعكس سعادته على الآخرين من خلال سلوكه معهم. كما أن توفير علاقات قوامها المحبة والمساواة والتسامح والتعاون في جو أسري آمن من شأنه أن يبعد الطفل عن العدوان ويقلل منه في حالة وجوده.

■ الإقلال ما أمكن من التعرض لنماذج عدوانية. فالأطفال الذين يشاهدون تصرفات عدوانية، تزداد عندهم مثل هذه التصرفات، ويميلون إلى تقليد مثل هذه المشاهد. فمشاهد القتل والعراك التي يشاهدها الأطفال في التليفزيون تؤدي إلى إيقاظ الأحاسيس الفسيولوجية عند الطفل، وهذا من شأنه أن يؤدي إلى العدوان فيما بعد، خاصة إذا كان ما يعرض من نماذج عدوانية يتوافق مع قيم وأسلوب حياة الطفل الذي كونه في الأسرة والمجتمع المحيط (الزعبي،٢٠٠٥).

■ التجاهل المتعمد للسلوك العدواني، وتعزيز السلوك المرغوب فيه عند الطفل، إذ من الضروري أن يصاحب تعزيز السلوك المرغوب فيه عند الطفل تجاهل لتصرفاته العدوانية، خاصة إذا لم يترتب عليها إيذاء للآخرين. وتشير نتائج الدراسات أنه من الممكن أن يخفض الراشدون استجابات العدوان اللفظية والجسدية عند الأطفال بشكل ظاهر عن طريق التجاهل المنظم للسلوك العدواني، وإبداء الاهتمام بالسلوك العدواني عندهم والعمل على تعزيزه (شيفر وميلمان، ١٩٨٩).

■ أن تعمل الأسرة والمدرسة على توفير الأنشطة الحركية المنظمة للطفل. فالطفل يمتلك طاقة زائدة ويحتاج إلى الحركة والنشاط لتصريفها. ولهذا فإن توفير فرص اللعب للطفل، والرياضة التنافسية ، من شأنها أن تعمل على تصريف نزعاته العدوانية بشكل مقبول اجتماعياً(الزعبي،٢٠٠٦).

■ أن يعمل المجتمع على الحد من ظاهرة البطالة بين الشباب،وذلك من خلال توفير فرص العمل المناسبة لهم، وتشجيعهم على الكسب المشروع ،وعدم الاتكال على الآخرين.

■ ضرورة توجيه الأبناء في الأسرة والمدرسة إلى كيفية قضاء أوقات الفراغ بما يعود عليهم وعلى أسرهم ومجتمعهم بالخير.

■ عقد ندوات خاصة عن العنف الأسري، بحيث يتم الإعداد لها وتنفيذها من قبل مختصين في الإرشاد الأسري.

المراجع:

أولاً- المراجع العربية:

- إبراهيم، أبو الحسن عبد الموجود(٢٠٠٨).ديناميات الانحراف والجريمة(التفسيرات-القضايا-الممارسة العامة).الإسكندرية: المكتب الجامعي الحديث.

- أبو حجلة،همسة سمير(٢٠٠٤).العلاقة بين الرضا عن الزواج والعنف ضد الزوجة في قصبة الكرك.رسالة ماجستير غير منشورة،جامعة مؤتة.

- الأحمد،أمل(٢٠٠١). بحوث ودراسات في علم النفس.بيروت:مؤسسة الرسالة.

- الأحمد،أمل(٢٠٠٤). مشكلات وقضايا نفسية. بيروت:مؤسسة الرسالة.

- ابن منظور(١٩٥٧).لسان العرب.بيروت، بيروت للطباعة والنشر.

- حلمي، إجلال(١٩٩٩).العنف الأسري.القاهرة: دار قباء للطباعة والنشر.

- الداهري،صالح حسن(٢٠٠٨).أساسيات الإرشاد الزواجي والأسري.عمّان:دار صفا.

- الزعبي،أحمد محمد(٢٠٠٥). مشكلات الأطفال النفسية والسلوكية والدراسية. دمشق: دار الفكر.

- الزعبي،أحمد محمد(٢٠٠٦).الصحة النفسية والعلاج النفسي.الرياض:مكتبة الرشد.

- شيفر، شارلز؛ ميلمان، هوارد (١٩٨٩). مشكلات الأطفال والمراهقين وأساليب المساعدة فيها. ترجمة نسيمة داوود، ونزيه حمدي. عمّان.

- عبد الوهاب، ليلى(٢٠٠٠).العنف، الأسري:الجريمة والعنف ضد المرأة.دمشق:دار المدى للثقافة والنشر.

- غانم، محمد حسن(٢٠٠٧).العنف الأسري- دراسة في سيكولوجية الجرائم الأسرية المنشورة في الصحف المصرية باستخدام تحليل المضمون.مجلة علم النفس.القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، العدد٧٣-٧٤،ص ص١٤٤-١٥٩-

- محمد،يوسف عبد الفتاح(١٩٨٨).الزواج من أجنبيات وأثره على أبناء الخليج العربي.بيروت:دار الفكر العربي.

- مكي، رجاء؛ عجم، سامي(٢٠٠٨).إشكالية العنف:العنف المشروع والعنف المدان.بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر.

- منيب، تهاني؛ سليمان، عزة(٢٠٠٧).العنف لدى الشباب الجامعي.الرياض:جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية.

ثانياً- المراجع الأجنبية:

Berkowitz, L- (1993) -Aggression, its causes, consequences and control- New York: McGraw Hill-p-265-295-

- Otto, Jarsen (1985)-Alienation social apperception and ego structure -J -of consulting Psychology-Vol-19, P21-22-

- Ratner, P- (1998)-Modeling acts of aggression and dominance as wife abuse and exploring their adverse health effects- J- Of Marriage and the Family, 60(May):p-453-465

- Simons- Et al- (1998)-Socialization in the family of origin And mal dating violence -J- of Marriage and the Family, 60-Nov-P-467-478-

Wisdom, c-s- (1989)-The cycle of violence: Science, vol-P- (244)-

❖❖❖❖